

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## مقدمة

كتب الله لك السعادة وأمدك منه بالحسنى وزياده ، وجنبك أسباب الشقاء ، وكفأك مكاييد الأعداء ، وأرشدك إلى ما فيه الخير ، ومهد لك سبيل الاحسان والبر ، وملا قلبك باليقين ، وحال بينك وبين الضالين والمعاندين ؛ وجعل الحق شعارك ، والصدق دثارك ، وباعد بينك وبين الخطل ، وأفالك من مهاوى الزلل ، حتى لا تنطق إلا بالصواب ، ولا تصدر إلا بالحكمة وفصل الخطاب . كان لنا منذ عهد الطلب ولعم شديد بكتاب « البيان والتبيين » ، وكنا لانعرف من أمر الجاحظ إلا أنه من العلماء الذين يُندَبُ الترضى عنهم والترحم عليهم . فلما أُتيح لنا الإطلاع على ما ترجم له من سيرة افتتح لنا خصاصاً من النور كان على ضئولته مغرباً لنا بالاستزادة منه . فطلبناه في مظانه من كتب السير وأسفار الأخبار ودواوين التاريخ ، فكنا كلما أمعنا في التبع استنار لنا الطريق ، واتسعت الرغبة ، وما كنا نعلم من ذلك إلا على النبذة تتلوها النبذة ، لا تُبرد غلة ، ولا تشفى علة ، ولا تنفع بلة . غير أنني كنت أجمع من ذلك ما تفرق ، وأولف بين حزائق ما تمزق ، وأضم الإلف إلى إلفه ، والشبه إلى شبهه ، إلى أن صار لمدى من أحوال أبي عثمان الجاحظ وأخباره الشيء الكثير . فلما كانت سنة ١٩٣٦ وقام في نفسي أن أضع على كتاب « البيان

والتبيين ، تعليقات وحواشي تبين بعض غوامضه ، وأخذت في تصحيحه وضبطه لنشره بالطبع ، رأيت أن أصدره بملخصه في ترجمة الجاحظ ، ولكن المقام لم يكن إذ ذاك مقام بسط وإيضاح ، فجاءت على غير مايجب من حق الجاحظ ، أو مايشبع نهمة الأديب الفائق ، ويملاً نفس الأريب الحاذق ، وإن كانت فوق كفاية المتأدب الشاذي . ألمت فيها إلاماً ، ولم استقص فيها استقصاءً .

ولما انتهيت من كتاب البيان والتبيين ، وظهر بالطبع في ذلك الحين إتسع أمامي المجال ، وعثرت على مواد جديدة لم تكن في متناول يدي من قبل : فرأيت حقاً علىّ — وللجاحظ عندي حقوق — أن أفرد له كتاباً خاصاً أبسط القول فيه ، وأتناول كل ناحية من نواحيه ، وأبين ماله وما عليه وأوضح مسأله ، وأحل مشأله ، وأدفع عنه غوائل خصومه ، وأحِقُّ من قولهم فيه الحق وأبطل الباطل ، وأفصل منهجه في الأدب ، كما أعرف مذهبه في الاعتزال ، ومسلكه في العلم والفلسفة ، وأطلق القلم في وصف خصائصه ومميزاته ، ولا أزال أتتبع حياته حتى النهاية .

على أنه لم يقف بي الأمر من ذلك عند هذا الحد ، بل رأيت اختيار طائفة ممتازة من رسائله ومقالاته ، وآرائه ومروياته ، المنبثه في مؤلفاته المنشورة بالطبع ، أو في مصنفات غيره مما هو من شأنه ومما يدور حوله ، فأثبتها فصلاً قائماً برأسه في نهاية هذا الكتاب حتى لا أترك لباحث أمنية ، ولا لأديب بغية ، ولا لأريب مطلباً ، ولا لمنقب مأرباً ، إلا جئت من ذلك بالقدر الذي سمح به الوقت ووات به الحال .

وكان من حسن معونة الله وجميل رعايته ، أن وفقني إلى العثور على طائفة صالحة من آثاره التي لم يسبق لها عهد بالنشر والذيعوع بالطبع ، فأعملت فيها العقل والقلم ، مصححاً فاسدها ، مقوماً معوجها ، محرراً ماشاع فيها من تصحيف النساخ ، وتحريف المساخ .

ولم أر الاستثناء بهذه الآثار ، أو الضن بها على أهل الأدب في الأمصار ، بل آثرت ، خدمة للعلم والأدب ، أن أذيل هذا الكتاب بما رأيت صالحاً منها . وفوق هذا فلم أترك علماً من الأعلام التي ورد لها ذكر في هذا الكتاب إلا عرفت به ، مترجماً إياه على مقتضى المقام ، متحريراً ما استطعت تاريخ ميلاده ، مثبتاً وقت وفاته . وناهيك بذلك كله من عمل شاق ، وجهد ممض . وقد أسميته « أدب الجاحظ » ليجمع بين المعنيين : معنى الأسلوب الذي تتقف به ، ومعنى الثقافة التي اختص بها واستقل بأعبائها والله أسأل دوام التوفيق إلى كل عمل صالح وصنيع مفيد ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

## حسن التدوين

القاهرة في ٤ / صفر ١٣٥٠ هـ  
٢٠ يونيو ١٩٣١ م